أَيْنَ مَنْزِلي:
الجنَّةُ أَم النَّار؟!

الدكتور محمد عمر الحاجي

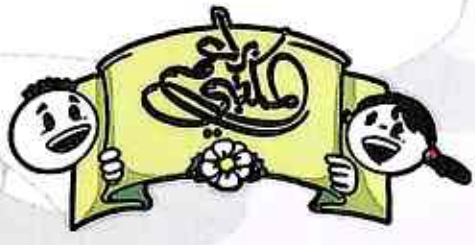

الطبعة الأولى

2017 - 1438

جميعُ الحقُوق محفُوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي.

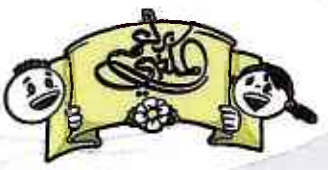

دمشق - الشارقة - القاهرة

دمشق هاتف 00963112248433 فاكس 00963112248432 ص.ب 31426

الشارقة هاتف 0097165512262 فاكس 0097165512264 ص.ب 3309

e-mail:daralbaraem@gmail.com almaktabi@gmail.com

www.almaktabi.com

أَيْنَ مَنْزِلي:
الجنَّـةُ أَم النَّـار؟!

وَمِنَ الحِكَايَاتِ الرَّائِعَةِ الّتي حَدَثَتْ مَعَ وَاحِدَةٍ مِنَ التَّابِعيّاتِ ، وفيها مِنَ العِبَرِ والعِظَاتِ الشَّيءُ الكَثيرُ ، هَذِهِ الحِكَايَةُ الّتي رَوَاهَا ابنُ الجوزيّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

قالَ أَبو عياش القَطّان: بَلَغَنا أَنّه كانَ مَلِكٌ كَثيرُ المَالِ ، وكَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ لم يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ غَيرها ، وكَانَ يُحِبُّها حُبّاً شَدِيداً ، وكَانَ يُلهيهَا بِصُنُوفِ اللّهوِ ، فمَكَث على ذِلكَ زَمَاناً.

وكَانَ إِلَىٰ جَانِبِ المَلِكِ عَابدٌ ، فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَقْرأُ إِذْ رَفَعَ صَوْتَهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

فسمِعَتِ الجَاريةُ قَرَاءَتَهُ ، فَقَالَتْ لجوارِيِّها: كُفّوا ـ أَيْ: انْتَهوا عَنِ اللهْوِ ـ فلم يَكُفُّوا ، وجَعَلَ العَابدُ يُرَدِّدُ الآيَةَ ، والجَارِيةُ تَقُولُ لَهُمْ: كُفّوا. فلَم يكفّوا ، فَوَضَعَتْ يَدَهَا في جَيْبِها فشَقَّتْ ثِيَابَها!

فانطلقُوا إِلَىٰ أَبِيْها فأَخْبَروهُ بالقِصَّةِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْها ، فَقَالَ: يا حَبِيْبَتي! مَا حَالُكِ مُنْذُ الليلة؟ مَا يُبْكِيْكِ؟

وضَمَّهَا إِلَىٰ صَدْرِهِ ، فَقَالَتْ: أَسْأَلُكَ باللهِ يا أَبَتَاهُ ، هل للهِ عَزَّ وجلَّ دارٌ فِيْها نَارٌ وَقُودُها النَّاسُ والحِجَارَةُ؟

قالَ: نَعَمْ.

فَقَالَتْ: ومَا يَمْنَعُكَ يا أَبَتاهُ أَنْ تُخْبِرَني بِذَلِكَ؟ واللهِ لا أَكَلْتُ طَيِّباً ، ولا نِمْتُ عَلَىٰ لِيِّنٍ ، حَتَّى أَعْلَمَ مَنْزِلي: في الجنَّةِ أَمْ في النَّارِ؟!

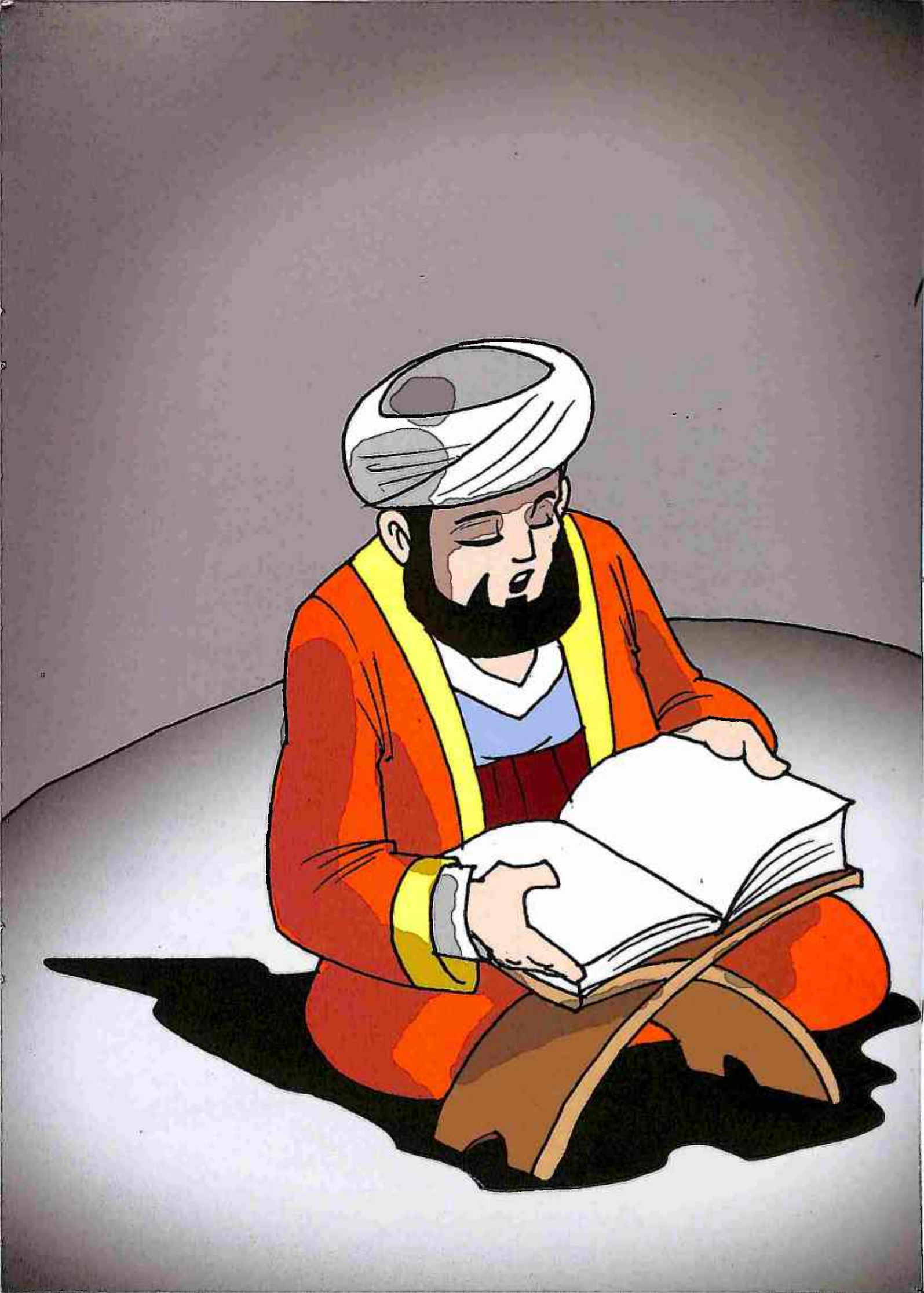

حُـزْنٌ.. أَمْ فَـرَحٌ؟!

وهَذِهِ حِكَايةٌ لَطيفةٌ فِيْها مِنَ العِبَرِ والعِظَاتِ الشَّـيءُ الكَثيـرُ ، حَيْـثُ النِّسَـاءُ الـلائـي عَـرَفْـنَ اللهَ سُبْحَانَهُ ، فَأَطَعْنه حَقَّ طَاعَتِهِ ، وَوقفْنَ عِنْدَ حُدودِهِ ، وصَبَرْنَ عَلَىٰ كُلِّ مُصيبَةٍ ، وشَكَرْنَ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ نِعْمَةٍ:

قَالَ سَعِيدُ أَبُو عُثْمَانَ: نَظَرَ رَجُلٌ إِلَىٰ امرأةٍ فقَالَ: مَا رأيتُ مِثْلَ هَذَا الحُسْنِ وهذِهِ النضَارَةِ ، وما ذَاكَ إِلا مِنْ قلّةِ الحُزْنِ!

فقالَتِ المَرْأَةُ: يا عَبْدَ اللهِ! واللهِ إِنّي لَيَذْبَحُنِيْ الحُزنُ ما يَشْرَكُني فيهِ أَحَدٌ!

قَالَ: وكَيْفَ ذَلِكَ يا أَمَةَ اللهِ؟

قَالَتْ: ذَاتَ يَوْمٍ ذَبَحَ زَوْجي شَاةً مُضحّياً ، ولي صَبيّانِ يَلْعَبانِ ، فقالَ أَكْبَرُهُمَا للأصْغَرِ: أُريكَ كيفَ صَنَعَ أَبي بالشَّاة؟

قالَ الصَّغيرُ: نَعَمْ.

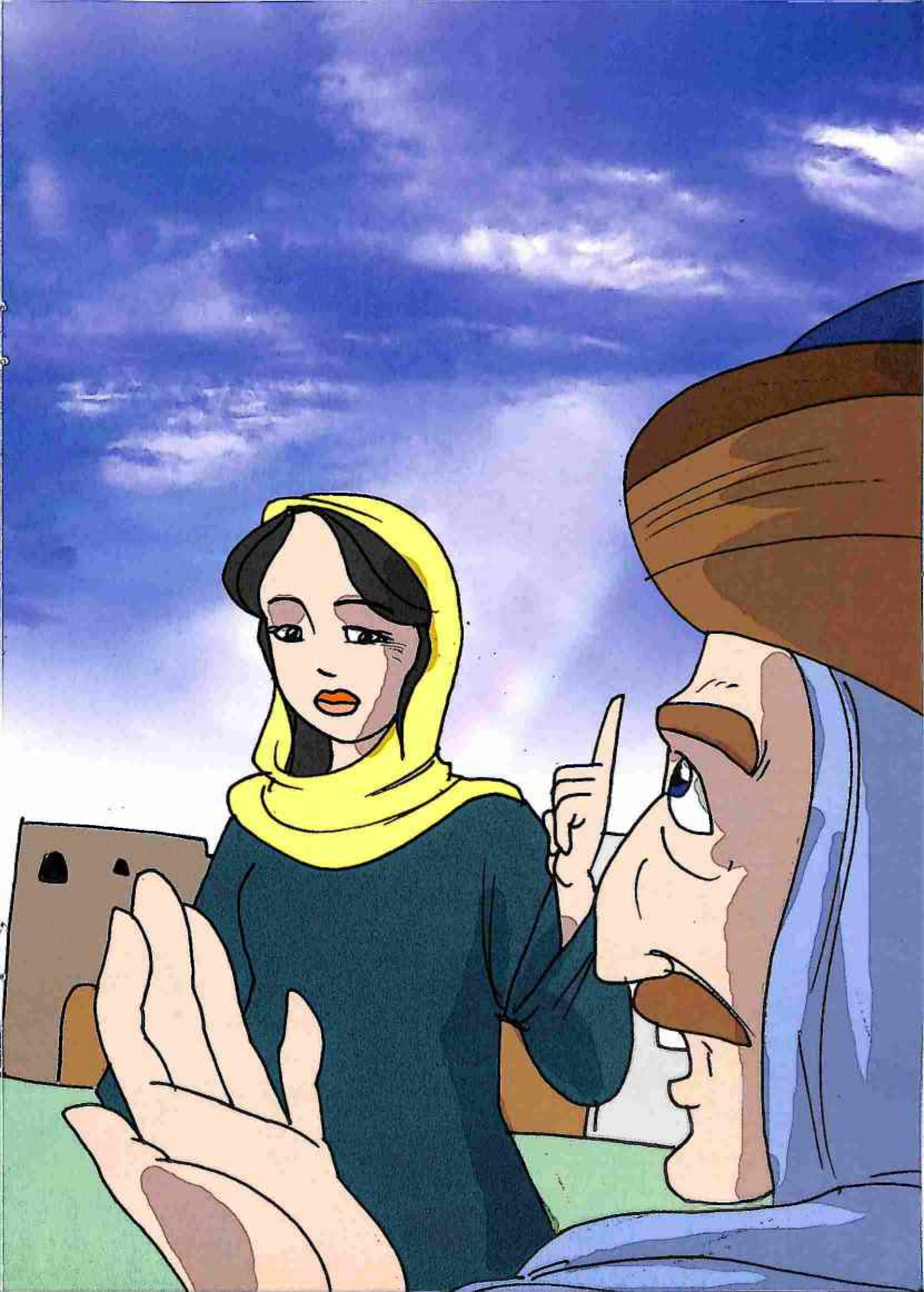

فجاءَ الأَكْبَرُ فعلَّق الأَصْغَر بالحَبلِ ، وذَبَحهُ ، فَما شَعَرنا بِهِ إلا مسطّحاً فلمّا اسْتعلَتِ الضجّةُ ، هَرَبَ الغُلامُ الأَكْبَرُ نَاحِيَةَ الجَبَلِ ، فَتَبِعَهُ ذئبٌ فقتلَهُ وأكَلَهُ!

ونَحْنُ لا نعلَمُ بكلِّ ذَلِكَ ، فأتبَعَهُ أَبوهُ يَطْلبُهُ ، فماتَ عَطَشاً! وأَفْرَدني الدَّهْرُ ـ أي: تَرَكني الدَّهْرُ وحيدةً فَرِيدةً ـ.

فقالَ الرَّجُلُ: وكَيْفَ صَبْرُكِ؟

قَالَت: لو رأيتُ في الجزع مَدْرَكاً ما اخترتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ رَتّلتْ قَوْلَ اللهِ تعالىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

هُمْ أَحْرارٌ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ

ورَوَىٰ ابنُ الجَوْزيّ رَحِمَهُ اللهُ تعَالَىٰ هَذِهِ الحِكَايَة

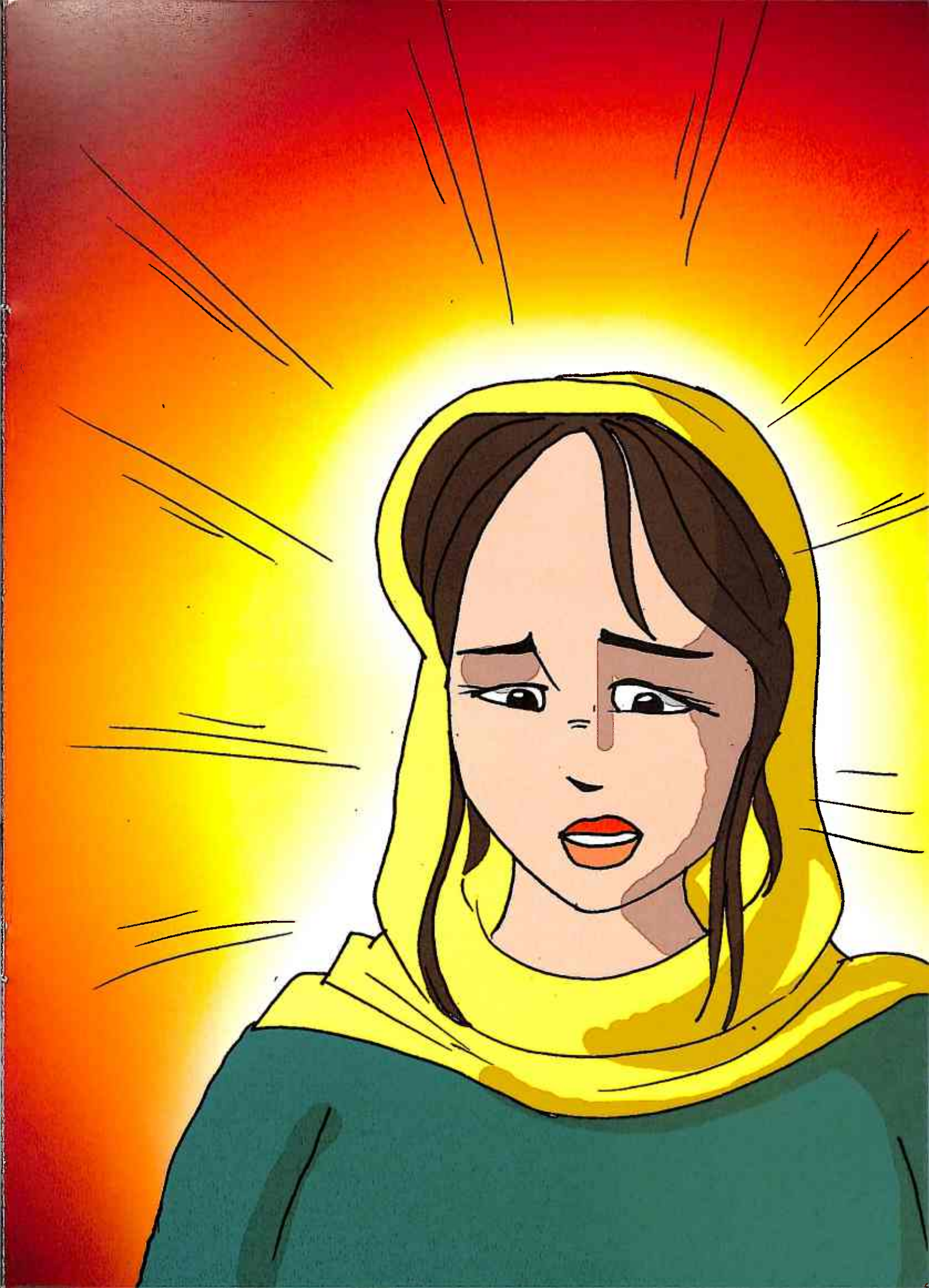

الرَّائِعةَ ، والتي فِيها مِنَ العِبَرِ والعِظَاتِ الشَّيءُ الكَثيرُ ، بحيثُ تَدُلُّ بكلِّ وضوحٍ عَلَىٰ تأْثيرِ القُرْآنِ الكَريمِ في نُفوسِ الصَّالحينَ والصَّالحات:

عَنْ هِشَامِ بنِ حَسَّانَ قالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجاً ، فنَزلْنَا مَنْزِلاً في بَعْضِ الطَّريقِ ، فَقرأَ رَجُلٌ كَانَ مَعَنا في القَافِلَةِ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

فسمعَتْهُ اِمْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ القَافِلَةِ ، فقالَتْ: أَعِدْ رَحِمَكَ اللهُ.

فأَعَادَ الرَّجُلُ الآيةَ.

فقالَتْ: خلّفتُ في البيتِ سَبْعَة عَبيدٍ أُشْهِدُكُم أَنَّهم أَحْرَارٌ ، لكلِّ بابٍ واحدٌ مِنْهُم!!

اعْمَلوا ما شِئْتُم فإِنَّا صَابِرُون

وهَذِهِ حِكَايةٌ رَائِعَةٌ بَطَلَتُها السَّيّدةُ نَفِيسةُ بِنْتُ الحَسَنِ بنِ زَيْنِ العَابدين رَحْمَةُ اللهِ عليهم أَجْمَعين ،

وَفيها مِنَ العِبَرِ والدّرُوسِ ، خَاصَّةً ما يتعلَّقُ بالجرأَةِ في الصَّدْعِ بالحَقِّ في وَجْهِ الظَّالمين:

أَقَامَتِ السَّيِّدةُ نَفِيسَةُ ـ حَفِيدةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ في مِصْرَ ، وذَلِكَ حِيْنَ عيّنَ الخليفةُ المَنْصُور زَوْجَها والياً علىٰ مِصْرَ.

فَهُرِعَ إِليها أَهْلُ مِصْرَ يَشْتكونَ مِنْ ظلْمِ أَحْمَدَ بنِ طُولون!

فقالَتْ لَهُم: ومَتَىٰ يَرْكَبُ ابنُ طُولونَ هَذَا؟

قَالوا: في غَدٍ ، فكتبَتْ رُقْعَةً ووقفَتْ بِهَا في طَرِيقِهِ ، حَتَّىٰ إِذَا مَا مَرَّ بالموكِبِ.. وَمَعهُ الحَشَمُ والخَدَمُ والحِرَاسَةُ ، صَاحَتْ بِهِ: يا بنَ طُولون!

فلمّا رآها عَرَفَها ، فَتَرجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ ـ أَيْ: نَزَلَ عَنْهُ ووقَفَ عَلَىٰ الأَرْضِ ـ وَأَخَذَ مِنْها الرُّقْعَةَ ، وقَرَأَهَا ، فإِذا فِيها:

مَلَكْتُم فَأَسَرْتُمْ ، وقَدِرْتُمْ فَقَهَرْتُمْ ، وخُوِّلْتُمْ فَعَسَفْتُم ، وورَدَتْ إِلَيْكم الأَرْزَاقُ فقطعتُم ، هَذَا وقَدْ

عَلِمتمْ أَنَّ سِهَامِ القَدَر نَافِذَةٌ غَيْرُ مُخْطِئَة ، لا سِيَّما في قُلوبٍ أَوْجَعْتُموهَا ، وأكبادٍ جوّعْتُموها ، وأَجْسَادٍ عرّيتُموها ، فَمُحَالٌ أَنْ يَموتَ المَظْلومُ ويَبْقَىٰ الظَّالِمُ ، اعمَلوا ما شئْتُم فإِنَّا صَابِرون ، وجُورُوا ـ أيْ: اظْلمُوا ـ فإنا مُسْتَجيرونَ ، واظْلموا فإنّا إِلَىٰ اللهِ مُتظلّمونَ: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] فَعَدلَ لوقته!!

أيّ مُنَاجَاةٍ هٰذِهِ؟!

وهَذِهِ حِكَايَةٌ رَائِعَةٌ يَرْويها سرّي السَّقَطيّ فيقولُ:

بَلَغَنَا أنَّ امْرأَةً كَانَتْ إِذَا قَامَتْ مِنَ اللّيلِ قَالَتْ: اللهمَّ إِنَّ إبليسَ عبدٌ مِنْ عَبيدَك نَاصِيَتُهُ بِيَدِكَ ، يَراني مِنْ حَيْثُ لا أَرَاه ، وأَنْتَ تَرَاهُ مِنْ حَيْثُ لا يَرَاكَ ، اللهمَّ إِنَّكَ تَقْدِرُ عَلَىٰ أَمْرِهِ كُلِّهِ وَهُوَ لا يَقْدِرُ مِنْ أَمْرِكَ عَلَىٰ شَيءٍ.

اللهمَّ إِنْ أرادني بِشرٍّ فأرِدْهُ ، وإِنْ كَادني فكِدْهُ ، أَدْرأُ بكَ في نَحْرِهِ ، وأَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّهِ.

ثم بكَت حَتىٰ ذَهَبَتْ إِحْدَىٰ عَيْنَيْها ، فَقيلَ لَها: اتّقِ اللهَ لا تَذهب الأخرىٰ.

فقالَتْ: إِنْ كَانَتْ عيني مِنْ عيونِ أَهْلِ الجَنَّـــةِ ، فسيُبدلني الله بِها ما هُوَ أَحْسَنُ مِنها ، وإِنْ كَانَتْ مِنْ عُيونِ أَهْلِ النَّارِ فَأَبْعَدَهَا اللهُ تَعَالَىٰ!!

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٥].